رسالة الشيخ مصطفى بن قارة المستغانمي للشيخ بن عودة بن إسماعيل

Sheikh Mustafa bin Qarah's al-Mostaghanemi letter to Sheikh Bin Ouda Bin Ismail (1862- 1956)

فايزة بوسلاح *
المدرسة العليا للأساتذة بوهران/ الجزائر
f.bouslah2018@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2021/05/22 تاريخ المراجعة: 2021/06/12 تاريخ القبول:2021/06/22

الملخص:

تتناول هذه الدراسة إحدى مدونات علماء مدينة مستغانم خلال الفترة الاستعمارية، وهو الشيخ مصطفى بن قارة المستغانمي، وهي عبارة عن جواب لسؤال الشيخ بن عودة بن اسماعيل حول قضية صوفية تتعلق بورد الطريقة التجانية. وهي مسألة اختلف فيها العلماء قديما وحديثا. وتعد هذه الوثيقة مصدرا مهما يزيل الكثير من الالتباسات حول العديد من المسائل الصوفية التي كانت متداولة آنذاك.

إنّ شخصية الشيخ مصطفى بن قارة المستغانمي من خلال هذه الرسالة توحي بمدى عبقرية الرجل وغزارة علمه في عدة علوم، وتدل على سعة اطلاعه من خلال اعتماده على الأدلة والبراهين في توضيح تلك المسألة.

لقد حاولت هذه الدراسة التعريف بأدب الرسائل الذي كان شائعا العلماء المغاربة عموما وعلماء الجزائر خصوصا خلال أواخر القرن التاسع عشر، لاسيما تلك المتعلقة بمسائل التصوف، وهي البضاعة التي كانت رائجة أنداك. إنّ هذا النوع من الرسائل يحوي معلومات قيمة يستفيد منها الباحثون والمؤرخون على حد سواء، ويكشف لنا الصورة الحقيقية لتلك المعارف والعلوم التي كانت لدى هؤلاء العلماء.

الكلمات المفتاحية: مصطفى بن قارة؛ مستغانم؛ التصوف؛ العلماء؛ التجانية؛ الوثيقة.

* د. فايزة بوسلاح /المدرسة العليا للأساتذة، وهران/ الجزائر

Abstract : This study deals with one of the blogs of the scholars of the city of Mostaghanem during the colonial period, Sheikh Mustafa bin Qarah al-Mostaghanemi, an answer to the question of Sheikh Bin Ouda Bin Ismail about a Sufi issue concerning the Rod of Tijani Way. It is an issue where scientists have disagreed both old and new. This document is an important source that removes much confusion about many of the mystical (soufi's) issues that were in circulation at the time.

The character of Sheikh Mustafa bin Qarah al-Mostaghanemi, through this letter, suggests the genius of the man and the wealth of his knowledge in several sciences, and demonstrates his ability to learn by relying on evidence to clarify that issue.

This study attempted to make known the literature of letters, which was common among Moroccan scientists in general and Algerian scholars in particular during the late nineteenth century, especially those relating to sculpture issues, which were popular in that period. This kind of message contains valuable information from researchers and historians alike, and it reveals to us the true picture of that knowledge and science that these scientists had.
Keywords: Mustafa bin Qarah; Mostaghanem; Soufism; scientists, Tijani; document.

1- مولده ونشأته:

هو عبد القادر بن عودة بن الحاج محمد بن قارة مصطفى الشريف الحسني من سلالة سيدي عفيف بمستغانم. ولد بمستغانم مسقط رأسه سنة 1862م كما جاء في "الكتاب الذهبي" وقيل سنة 1859م، والأول هو الأصح لأنها رواية تلميذه ابن شهيدة، عاش الشيخ مصطفى بن قارة في كنف والده، فأحسن تربيته دينا وخلقا، فحفظ القرآن الكريم، وهو إذ ذاك ابن اثني عشرة سنة، وبعد وفاة والده كفله عمّه " الشيخ سيدي بن عودة "بمدينة غليزان"، أين واصل تعليمه فنهل من العلوم الدينية كالتفسير والحديث والفقه، كما أخذ النحو والصرف على يد علماء مدينة غليزان آنذاك مدة ثلاث سنوات، ليعود بعدها إلى مدينة مستغانم ليواصل تحصيله للعلم(بن نعمية عبد المجيد، 2007: 481).

يقـول عنـه عبـد القـادر بـن عيسـى المسـتغانمي:" عـالم جليـل ومفتي؛ متمكن مـن المعرفـة وتواضـعه قليـل النظير، لقـد زرتـه بحوالي أربع سـنوات قبـل وفاته،...إنـه المصلح الاجتماعي(بن عيسى عبـد القـادر، 71:1996). كما قـال عنـه ابـن سـكيرج في رحلتـه:" أمّا حضـرة المفتي فهـو الخـائض في بحـر المعـارف، المسـتخرج منهـا يواقيـت اللطـائف ودرر الطرائف، العلامة الذي نال من العلم ما يحي القلب والنفس، ويوصل العبد إلى حضرة القـدس، أبـو السـعادة الشـيخ سـيدي عبـد القـادر بـن مصـطفى ابـن قـرا، مفتي مستغانم"(سكيرج بن أحمد، 2011: 157).

أ/ شيوخه:

كعادة علماء تلك المنطقة، قام الشيخ عبد القادر بن قارة بعدة رحلات وأسـفار، جاب خلالها عدة مدن طالبا للعلم الشرعي والروحي، في كل من قصر البخاري وتلمسان ووهران، فأخذ عن عدة علماء وشيوخ نذكر منهم:

- والده الشيخ مصطفى بن عودة
- الشيخ العربي بلقاسم – بزاوية الموسوم – بقصر البخاري
- الشيخ المدني – بزاوية الموسوم – بقصر البخاري
- الشيخ العكرمي – بزاوية الموسوم – بقصر البخاري
- الشيخ سيدي أحمد المختار
- الشيخ الطاهر بن عمار
- الشيخ الأخضر بن ميموني
- الشيخ العربي الفجيجي، أخذ عنه علوم النحو والصرف والعروض.
- الشـيخ العلامـة أبـو الحسـن سـيدي علي بـن عبـد الـرحمن، مفتي الـديار الوهرانيـة (ت1324هـ).
- الشيخ ابن عبد الله شيخ زاوية غليزان.
- الشيخ القاضي أبو بكر بن شعيب بن علي الجليلي التلمساني (ت1347هـ/1927م).
- الشيخ قدور بن سليمان المستغانمي، أخذ عنه الطريق سلوكا.
- الشيخ محمد بن أبي القاسم الحفناوي - بزاوية الهامل ببوسعادة.

ب/ تلامذته:

خلّف الشيخ ابن قارة عدة تلاميذ، درسوا عنه وتفقهوا، وراحوا يكملون مسيرة شيخهم، ولعلّ من أهمهم نذكر:

-ابنه الأكبر البشير.

-الشيخ الطاهر بن شهيدة اليحياوي.

-الشيخ القاضي والشاعر عبد الحميد رئيس محكمة وهران.

-الشيخ الفقيه يوسف المجاهري (ت 1944م).

-الشيخ الصوفي أحمد بن مصطفى العلوي.

بعد تحصيل الشيخ عبد القادر بن مصطفى بن قارة، تصدى لتحفيظ الطلبة القرآن الكريم وتدريسهم العلوم الشرعية من حديث وفقه (الإمام مالك) وتوحيد ونحو وصرف. وكانت حلقات العلم التي يقيمها بالمسجد الأعظم بمستغانم كأستاذ منذ سنة 1885م، وقد وصفه تلميذه ابن شهيدة بقوله:" أنّ شيخه ابن قارة كان محل اهتمام أهل المنطقة، وأنّ أول درس شرع فيه الشيخ حضره عالم من علماء المدينة المنورة (لعل الكاتب يقصد الشيخ محمد ظافر المدني الصفاقصي)، وقال لهم بعد أن استمع لدرس الشيخ: "يا أهل مستغانم لقد فتح الله عليكم عينا من عيون العلم والمعرفة فاشكروه على نعمه، واغتبطوا في ذلك واغتنموا تسعدوا"(بن عيسى عبد القادر، 71:1996). كما كان الشيخ يلقى دروسا في مساجد المدن التي كان ينتقل الى زيارتها.

كما حكى عنه صاحب المرآة الجلية قوله:" العلامة السيد عبد القادر بن قارة مصطفى، أخذ علمه عن عدّة مشايخ، ثم وظّف بوظيفة مفتي بمستغانم، ثم تقاعد عام 1362هـ/1943م)(بن عبد الحكم عتبة،499:2018) ، وكان تعيينه كمفتي في سنة 1898م، خلفا للشيخ الحاج محمد بن عمر، وقد عارض كثير من الناس هذا التعيين بحجّة إسناد هذا المنصب لشاب آنذاك، وهي وظيفة لا تسند إلاّ لرجل كهل أو شيخ، غير أنهم تراجعوا بعدما علموا بعلو كعب الشيخ معرفة وعلما شرعيا وروحيا. بقي الشيخ ابن قارة في منصبه إلى أن عزل منه من طرف الحاكم الفرنسي بمستغانم آنذاك.

لقد أستجيز الشيخ ابن قارة من طرف عدة شيوخ، وكان يعتز كثيرا بإجازاتهم، ولعلّ من بين تلك الإجازات، إجازة القاضي أبو بكر بن شعيب بن علي الجليلي

التلمساني، فقد قال عنه : "وقد أجازني إجازة عامة مفصلة وسند القاضي شعيب في إجازته عموما موجود عند الشيخ عبد الكبير الكتاني وجعفر الكتاني والشيخ القادري والقهري والعمراني والعنادي وعلي بن عبد الرحمن شويوش، ويعبر عنه بالوهراني والطالي والمهدي والفقيه ابن حمزة والقاسمي والفحلي وابن غزة ....الخ(بن نعمية عبد المجيد، 2007: 485).

كان الشيخ ابن قارة محدثًا فقيهًا ومفتيًا وناظمًا، يغلب عليه الميل إلى شيوخ التصوف، فقد وصفه معاصروه بأنّه عالم جليل متواضع قليل النظير، عالم مصلح بارز ومعلم من معالم مدينة مستغانم الذي تمتع فيها بسمعة ومكانه رفيعة.

2- آثاره:

1- منظومة "قرة الأعيان في أدب تلاوة القرآن الكريم" وهي منظومة من 124 بيتا قسمها إلى مقدمة وفصول، هذه نبذة منها:

يَقُولُ عَبْدُ القَادِرِ بْنُ مُصْطَفَى الرَّاجِي مِنْ رَبِّهِ لِلْقَلْبِ صَفَى
الحَمْدُ لله الذِي كَرَّمَنَا وَبِالقُرآنِ فَضْلاً مِنْهُ خَصَّنَا
ثُمَ الصَلاَةُ وَالسّلاَمُ النّامِي عَلَى محمد خَيْرِ الأَنَامِ
وَآلِهِ الطَّهْرِ الحِمَا الأَمِينِ وَصَحْبِهِ الزَهْر نُجُومُ الدِّينِ
وَبَعْدُ فَاعْلَمْ أَنَّ فَضْلَ القُرْآنِ أَجَلُّ مَا بِهِ تُقَرُّ الأَعْيَانِ
وَخَيْرُ مَا يُعْنَى بِهِ وَيُدَّخَرُ وَمَا يُنَافِسُ بِهِ وُيُفْتَخَرُ
لِأَنَّ كَلاَمَهُ البَدِيعُ فَشَأْنُهُ مُعَظَّمٌ رَفِيعُ
فَاعْرِفْ لَهُ حَقَّهُ وَاغْنَمْ فَضْلَهُ وَاَجْنِ ثِمَارَهُ وَوَاصِلْ حَبْلَهُ

كما يقول في آخرها:

هَذَا تَمَامُ مَا بِهِ عَنَيْتُ مُؤْمِنًا قَبُولَ مَا قَصَدْتُ
سَمَّيْتُهُ بِقُرَّةِ الأَعْيَانِ فِي آدَابِ تِلاَوَةِ القُرْآنِ
أَقُولُ قَوْلَ نَاظِمِ اللَّوَامِعِ فِي مُقْرِئِ الحِبْرِ الإِمَامِ نَافِعِ
نَظَمْتُهُ مُحْتَسِبًا لله غَيْرَ مُفَاخِرٍ وَلاَ مُبَاهِي
وَقُرَّةُ الأَعْيَانِ بِالمَطْلُوبِ وَاجْتَمَعَ المُحِبُّ بِالمَحْبُوبِ

لقد تأثر الشيخ مصطفى ابن قارة بالشيخ محمد بن تكوك الذي قام بتقريظ منظومة " قرة الأعيان" قائلا:

أَيَا مَنْ تَسَامَتْ لَهُ هِمَّةٌ تُرَغِبُّهُ أَبَدًا فِي الكِتَابِ
مُرَتَّلٌ آيَاتُهُ خَاشِعًا فَدَيْتُكَ عَرْج عَلَى ذَا الآدَابِ
عَلَى نَسْجٍ ذَاكَ البَّلِيغ الفَصِيحِ كَنْزُ العُلُومِ حَلِيفَ الصَّوَابِ

2- ختمية الأنوار المحمدية النُهانية مختصر المواهب اللّدنية القسطلانية، وهو نظم مختصر الأنوار المحمدية من المواهب اللّدنية للشيخ القاضي يوسف ابن اسماعيل النبهاني(ت1922م)، مجموع أبياتها 92 بيتاً.

3- نيل الأمان في شرح عقد الجُمان لنظم فتح الرّحمن" وهو شرح "عقد الجُمان النّفيس في ذكر الأعيان من شرفاء غريس" لمؤلفه سيدي عبد الرّحمن التوجيني الذي قام بنظمه القاضي شُعيب التلمساني، وقد شرحه نظمًا تلبية لطلب القاضي شعيب، حيث يقول: "فأجبته بعد الاستخارة وشرحته بفضل الله امتثالاً لأمره وإسعافًا لرغبته على ما أعلمه من نفسي من القصور عن ذلك الشأن، وسمّيته بنيل الأمان في شرح عقد الجُمان لنظم فتح الرّحمن"(بن نعمية عبد المجيد، 2007: 483). وممّا جاء فيها:

يَقُولُ عَبْدُ رَبِّهِ شُعَيْبُ وَفَقَّهُ اللهُ العَظِّيم الرَّب
أَحْمَدُ منْهُ شَرَفُ آل بَيْت نَبيُنَا المصطفى ربُّ البيتِ
صَلَى عَلَيْه رَبُّنَا وَحَيَّا وَآلِهِ وَصَحْبِهِ الأتقيا
وَبَعْدُ فَالعَوْنُ مِنْ الرَّحْمَان فِي نَظْمِ مَا حَوَى عَقْدُ الجُمَانِ
مِنْ شَرَف غَريس الرَاشديَه عَلَيْهِم الرَحْمَةُ وَالتَحيَةُ
مرتبا ذكرهم حذو النعل بالنعل كالأصل بمحض الفض

4- شرح عقد الجمان النفيس للشيخ محمد بن محمد بن أحمد بن أبي القاسم الراشدي المزيلي ضمن منظومة سمّاها : "فتح الرحمن في عقد الجمان(التجيني عبد الرحمن، 2011: 65).

5- رسالة مطولة تقع ضمن أربع صفحات من الحجم الكبير كتبها ردًا على سؤال الشيخ سيدي بن عودة ابن إسماعيل إمام مسجد زاوية الشيخ بن عبد الله بغليزان، فيما يتعلق بفتاوى شيخه العلامة علي بن عبد الرحمن مفتي الديار الوهرانية حول أهم الأدلة الشرعية والبراهين العقلية التي لا تقبل الجدال في صحة ما أفتى به شيخه، حول مسألة ورد الطريقة التجانية. (بن مصطفى قارة عبد القادر، 1999: 1).

6- مخطوط رسالة في جواز إعطاء الزكاة لآل البيت، وقد قال فيه ابن سكيرج:"...وأطلعني أيضا على تأليف لطيف في جواز دفع الزكاة لآل البيت، وطلب مني تسميته، فسميته بإحياء القلب الميت بجواز دفع الزكاة لآل البيت، وقد أودع فيه ما يشهد له بالاطلاع التام في علم الفروع..."(سكيرج بن أحمد، 160:2011). وقد مدحه ابن سكيرج بقوله:

وَكُنْتُ بِمُسْتَغَانِمَ بَيْنَ نَاسٍ شُمُوسُهُم أَرَاهَا لَنْ تَغِيبَا
وَبَيْنَهُم فتىً بالحَقِّ أَضْحَى لِكُلِّ السَّائِلِينَ بِهِ مُجِيبَا
....
فَيَا ابْنَ قَارَا المُفَدَّى طِبْتَ نَفْسًا وَنَفْسٌ عِدَاكَ حَقًّا لَنْ تَطِيبَا

7- مخطوط إرشاد الخلق إلى الحق.

8- رسائل في فنون متنوعة في التوحيد والفقه والإرشاد والتصوف والنحو والصرف.

3- وفاته: كانت وفاة الشيخ ابن قارة رحمه الله يوم الاثنين (1375هـ/14 فبراير 1956م) بمدينة مستغانم، وصلى عليه وأبّنه كل من الشيخ محمد بن تكوك والشيخ الطيب المهاجي من وهران، والشيخ المهدي البوعبدلي مفتي الشلف وغيرهم كثير ممن حضر جنازته رحمه الله، ودفن بمقبرة سيدي قدور بن سليمان بتجديت بمستغانم(بن نعمية عبد المجيد وآخرون، 488:2007).

4-دوافع التأليف:

تبرز الغاية من تأليف الشيخ عبد القادر بن قارة مصطفى لهذه الرسالة، والتي هي في الأصل رسالة مطولة تقع في أربع صفحات من الحجم الكبير كتبها ردًا على سؤال

الشيخ سيدي بن عودة ابن إسماعيل إمام مسجد زاوية الشيخ بن عبد الله بغليزان، فيما يتعلق بفتاوى شيخه العلامة علي بن عبد الرحمن مفتي الديار الوهرانية حول أهم الأدلة الشرعية والبراهين العقلية التي لا تقبل الجدال في صحة ما أفتى به شيخه.

حيث نجده يقول في مستهلها بعد الحمدلة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم:" فقد ورد عليّ سؤال من حضرة الفقيه الوجيه الأجل، والأخ في الله الصالح الأمثل سيدي بن عودة بن اسماعيل إمام مسجد زاوية شيخنا سيدي بن عبد الله بغيليزان. مضمونه بالاختصار السؤال عن قضية بعث الشيخ سيدنا محمد الموسوم تلميذه سيدي قدور بن سليمان إلى العلامة سيدي علي بن عبد الرحمن مفتي وهران مقدم الطريقة التجانية، ليأخذ عنه ورد الطريقة التجانية".

5- وصف الرسالة:

تم الاعتماد في هذه الدراسة على نسخة وحيدة من رسالة الشيخ عبد القادر بن قارة مصطفى المخطوطة، حيث كتبت بخط مغربي واضح ومقروء، بحبر أسود، تضم حوالي 04 ورقات من الحجم الصغير، ذو مقاس 17/14,5، بمعدل ثمانية وعشرين(28) سطرا في كل ورقة، والنسخة سليمة مكتملة البداية والنهاية، حيث يقول في نهايتها:" هذا ما يسرّه الله تعالى في جواب المسألة سائلا من الله التوفيق والعفو والعافية، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما. وبه أخوكم ومحبّكم في الله ابن قارة مصطفى عبد القادر مفتي مستغانم، كان الله له ولأحبته بالعفو والعافية وحسن الخواتم. 8 جمادى الثانية 1362هـ موافقا 12 جوان 1943م". والنسخة موجودة بخزانة أبي عبد الله شراك بمسجد الشريفية بوهران.

6- التعريف بمحتوى الرسالة:

الرسالة كما سبق الاشارة إلى ذلك؛ فهي عبارة عن سؤال من الشيخ سيدي بن عودة ابن إسماعيل إمام مسجد زاوية الشيخ بن عبد الله بغليزان إلى الشيخ عبد القادر بن قارة مصطفى. يتمحور موضوعها حول قضية بعث الشيخ سيدنا محمد الموسوم تلميذه سيدي قدور بن سليمان إلى العلامة سيدي علي بن عبد الرحمن مفتي وهران مقدم الطريقة التجانية، ليأخذ عنه ورد الطريقة التجانية عن إذن نبوي فأخذه عنه وأتى إلى شيخه المذكور ولقّنه له شيخه سيدنا محمد الموسوم رضي الله عنه، وقال له

"خذها عني الآن سلوكا لا تبركا حسبما ذكره سيدي محمد بن سليمان قدّس سرّه، هل ذلك واقع مسموع عنكم أم لا؟ ليأخذ عنه ورد الطريقة التجانية.

وقد كانت الإجابة بأن ذلك واقع وجائز، حيث نجد الشيخ مصطفى بن قارة يجيبه بقوله:" فالجواب نعم هو واقع مسموع عندنا على لسان الشيخ سيدي قدور رحمه الله ورضي الله عنه، وما ذكره في القضية من توقف سيدي عليّ أولا الخ. فذلك مراعاة منه للشرط المعهود عند الأصحاب من الانسلاخ، ولمّا أمعن النظر وظهر له صحّة الأمر، وإضافته للنبيّ الله صلى الله عليه وسلم مع علوّ السند وثقة الناقل أجابه لمطلوبه ورأى بعضه بعضا كما هو مقرر في محلّه".

كما يذكر الشيخ مصطفى بن قارة معاتبة العلامة سيدي العربي بن السّايح للشيخ الموسوم حول هذه القضية، وأنه لو سمع من الشيخ الموسوم تفاصيل القضية، وعلم مكانته العلمية والمعرفية، لكان قد اقتنع بجواب الشيخ، حيث يقول:" وما ذكر من معاتبة العلامة سيدي العربي بن السّايح له على ذلك. فذلك وقوف منه أيضا مع المعهود في ذلك عند الأصحاب ولو فصلت له القضية أيضا، مع المعهود في ذلك عند الأصحاب ولو فصلت له القضية وأحاط بأحوالها علما، وعلم مكانة الشيخ محمد الموسوم رضي الله عنه من مقام المعرفة بالله والوصلة بسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأجاب لذلك والتمس له مخرجا كما فعل سيدي علي".

كما نوّه الشيخ بن قارة مصطفى بشيخه الشيخ سيدي الموسوم، وذكر علو مرتبته العرفانية والسلوكية، قائلا:" هذا هو الظّن به، لأنه رجل من أهل العلم والمعرفة والإنصاف، كما يشهد لذلك كلامه في مؤلفه رحمه الله ورضي عنه. فقد أجاب هو "وأول كلام بعض الأصحاب الذي وقع عليه اعتراض ممّن لم يحط بمدركه علما، والشيخ سيدي محمد الموسوم رضي الله عنه، ممن كانت له الوصلة التّامة برسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، وكان يقول:" لو غاب عني رسول الله الله صلى الله عليه وسلم ساعة متُّ في الحين" نحو ما قال الشيخ المرسي رضي الله عنهم أجمعين".

ويشير الشيخ مصطفى بن قارة إلى بلوغ الشيخ سيد الموسوم لأعلى مراتب الولاية السلوكية والعرفانية، بقوله:" وقد أدرك من مقامات الولاية أعلاها، وهي القطبانية

العظمى التي بايعه عليها أهل السموات والأرض، كما صرّح رضي الله عنه بذلك في قصيدته العينية بقوله:

طَوَيْت شَفْعِي فِي وَتْرِي وَالوُجُودُ لِي بَايِعُ

كما تناولت الرسالة أيضًا مسألة في غاية الأهمية وهي "مسألة المبايعة"، أي مبايعة المريد لشيخه، وقد حضر هذه المبايعة وبيّن كيفيتها تلميذه ووارث سرّه الشيخ سيدي قدور بن سليمان قدّس سرّه، قال رضي الله عنه:" كانت روحي تذهب إلى حضرة شيخي سيدي محمد الموسوم رضي الله عنه، وتأتيني منه بلطائف المعارف وجسدي في بيتي بمستغانم، وذلك قبل اجتماعي به بشبجي بسنة، فلمّا دخل رتبة القطبانية وبويع عليها حضرت روحي ذلك المشهد، فرأيت الشيخ رضي الله عنه على شيء مرتفع على متن القدرة ماداً يديه للمبايعة والأرواح تتنزل عليه من أعلى وتتصاعد إليه من أسفل، حتّى تمّ الأمر فكانت ممن حضر ذلك المشهد وبايعه فيه، فلمّا تمّت سنة ذهبت إليه واجتمعت به، وكان ممّا قال لي:" قد بشرني الحقّ بك البارحة وقيل لي قد وقع في شبكتك طائر لم يقع في شبكة أحد من الأولياء قبلك" أو كلاما لمعناه".

كما خلص الشيخ مصطفى بن قارة إلى القول بوضوح وبيان ما تقدم ذكره حول المسألة السالفة الذكر، إلى جانب ضرورة التنويه بفوائد الطريقة التجانية ومنحها وعطاياها الربانية، المقتبسة نورانيتها من الحقيقة المحمدية، وفضل الانتساب إلى صاحبها. حيث يقول: "فقد بان من ذلك صحّة وقوع القضية المسؤول عنها مع ذكر شيء ممّا اقتضاه الحال من الكلام عليها، كما نومئ على بعض فوائدها العرفانية ومنحها الربانية منها زيادة التنويه بالطريقة التجانية وصاحبها رضي الله عنه، حيث أمر الشيخ الموسوم رضي الله عنه بالاندراج فيها والاقتباس من أنوارها والانتساب إلى صاحبها".

كما انتهى الشيخ مصطفى بن قارة إلى "جواز اجتماع طريقين فأكثر لرجل واحد رغبة في الخير وتوسّعه لدائرة الفضل الإلهي، والله ذو الفضل العظيم. فإنّ كل طريق تمدّ أصحابها نجاحها، وتخلع عليهم من حللها، وتفيض عليهم من عنصرها الفياض من العنصر الأعظم، عنصر سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، ومجد وعظم".

7- مصادر الرسالة:

اعتمد الشيخ مصطفى بن قارة في تحرير رسالته على مجموعة من أمهات المصادر المختلفة والمتنوعة، التي أجاب بها عن سؤال الشيخ بن عودة بن اسماعيل، نذكر منها:

- كتاب التجليات الإلهية للشيخ الأكبر محيي الدين ابن العربي الحاتمي الطائي الأندلسي.
- كتاب القاموس المحيط للإمام اللغوي، للشيخ مجد الدين أبي طاهر محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيرازي الفيروز آبادي.
- كتاب خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، للشيخ محمد أمين بن فضل الله بن محب الدين بن محمد المحبي الحموي الأصل، الدمشقي.
- كتاب بغية المستفيد لشرح منية المريد، للشيخ أبي العباس التجاني.
- إلى جانب بعض مؤلفات الشيخ محمد السنوسي، والشيخ محمد الموسوم.

8- قيمة الرسالة وأهميتها:

تبرز قيمة الرسالة المخطوطة للشيخ عبد القادر بن قارة مصطفى؛ كونها تشتمل على عدة قيم علمية منها التربوية والأدبية والتاريخية. وتزداد أهميتها أكثر، إذا علمنا بأنّ المؤلف أحد العلماء الجهابذة المتصوفة، الذين لهم باع كبير في الطريق السلوكي؛ كمنهج تربوي وسلوك روحي، يرتقي به المريد والشيخ على حد سواء في مدارج السالكين العارفين.

وقيمة أدبية تتجلى فيما حوته الرسالة المخطوطة، من تراكيب ومفردات وعبارات منتقاة موحية تارة، وجزلة وسهلة تارة أخرى، حتى يتم من خلالها ابلاغ المعنى والمغزى من تلك المسألة المراد الحديث عنها وتبريرها. تعبر عن مدى تبحر وتضلع شيخنا عبد القادر بن قارة مصطفى في علوم العربية، وهذا نلحظه من خلال ما دونه من نصوص مستوحاة أساسا من الشرع تارة ومن طريق القوم سلوكا وروحيا تارة أخرى.

وقيمة تاريخية تبرز من خلال اعتماد على بعض المصادر التاريخية في رسالته منها كتاب خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، للشيخ محمد أمين بن فضل الله بن محب الدين بن محمد المحبي الحموي الأصل، الدمشقي، وهذا دليل على قيمة

المخطوطة من الناحية التاريخية التي تؤرخ لفترة ليست بالبعيدة عنا، وذكر حيثيات القضايا التي كانت متداولة آنذاك.

خاتمة:

حاولنا في هذه الدارسة التنويه بالشيخ مصطفى بن قارة المستغانمي مفتي مدينة مستغانم أثناء الحقبة الاستعمارية. والتعريف ببعض مؤلفاته. التي تحتاج منا نحن الباحثين إلى إعادة دراستها وتحقيقها، وبعثها من جديد لعامة جمهور المهتمين بالمدونات التراثية، الخاصة بعلمائنا. ولعل رسالة الشيخ مصطفى بن قارة السالفة الذكر تعبر نموذجا حقيقيا للكتابة الصوفية التراثية خلال فترة الاحتلال، ومعالجتها لأهم القضايا المطروحة آنذاك؛ لاسيما ما تعلق منها الطرق الصوفية ومسألة الانسلاخ من طريق والولوج في طريق آخر، وهل يجوز الجمع بين الطريقين. وتلكم هي بعض المسائل التي كانت محل خلاف وتناظر وسجال بين علماء التصوف آنذاك.

الملاحق:

الملحق رقم:01. نص جواب الشيخ بن قارة المستغانمي عن سؤال الفقيه سيدي بن عودة اسماعيل

بسم الله الرحمن الرحيم

يقول العلامة الجليل الشيخ ابن قارة مصطفى عبد القادر مفتي مستغانم رضي الله عنه:

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد عبده ورسوله وعلى آله وصحبه، وبعد: فقد ورد عليّ سؤال من حضرة الفقيه الوجيه الأجل والأخ في الله الصالح الأمثل سيدي بن عودة بن إسماعيل إمام مسجد زاوية شيخنا سيدنا ابن

عبد الله قدّس سرّه بغليزان، مضمونه بالاختصار السؤال عن قضية بعث الشيخ سيدنا محمد الموسوم رضي الله عنه تلميذه سيدي قدور بن سليمان إلى العلامة سيدي علي بن عبد الرحمن مفتي وهران رحمه الله مقدم الطريقة التجانية، ليأخذ عنه ورد الطريقة التجانية عن إذن نبوي فأخذه عنه وأتى إلى شيخه المذكور ولقّنه له شيخه سيدنا محمد الموسوم رضي الله عنه، وقال له "خذها عني الآن سلوكا لا تبركا حسبما ذكره سيدي محمد بن سليمان قدّس سرّه، هل ذلك واقع مسموع عنكم أم لا؟.

فالجواب نعم هو واقع مسموع عندنا على لسان الشيخ سيدي قدور رحمه الله ورضي الله عنه، وما ذكره في القضية من توقف سيدي عليّ أولا الخ. فذلك مراعاة منه للشرط المعهود عند الأصحاب من الانسلاخ، ولمّا أمعن النظر وظهر له صحّة الأمر، وإضافته للنبيّ الله صلى الله عليه وسلم مع علوّ السند وثقة الناقل أجابه لمطلوبه ورأى بعضه بعضا كما هو مقرر في محلّه.

وما ذكر من معاتبة العلامة سيدي العربي بن السّايح له على ذلك. فذلك وقوف منه أيضا مع المعهود في ذلك عند الأصحاب ولو فصلت له القضية أيضا، مع المعهود في ذلك عند الأصحاب ولو فصلت له القضية وأحاط بأحوالها علما، وعلم مكانة الشيخ محمد الموسوم رضي الله عنه من مقام المعرفة بالله والوصلة بسيدنا رسول الله الله صلى الله عليه وسلم، لأجاب لذلك والتمس له مخرجا كما فعل سيدي علي.

هذا هو الظن به، لأنه رجل من أهل العلم والمعرفة والإنصاف، كما يشهد لذلك كلامه في مؤلفه رحمه الله ورضي عنه. فقد أجاب هو "وأول كلام بعض الأصحاب الذي وقع عليه اعتراض ممن لم يحط بمدركه علما، والشيخ سيدي محمد الموسوم رضي الله عنه، ممن كانت له الوصلة التّامة برسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، وكان يقول:" لو غاب عني رسول الله الله صلى الله عليه وسلم ساعة متُّ في الحين" نحو ما قال الشيخ المرسي رضي الله عنهم أجمعين.

وقد أدرك من مقامات الولاية أعلاها، وهي القطبانية العظمى التي بايعه عليها أهل السموات والأرض، كما صرّح رضي الله عنه بذلك في قصيدته العينية بقوله:

طَوَيْت شَفْعِي فِي وَتْرِي وَالوُجُودُ لِي بَايِعُ

وقد حضر هذه المبايعة وبيّن كيفيتها تلميذه ووارث سرّه الشيخ سيدي قدور قدّس سرّه، قال رضي الله عنه:" كانت روحي تذهب إلى حضرة شيخي سيدي محمد الموسوم رضي الله عنه، وتأتيني منه بلطائف المعارف وجسدي في بيتي بمستغانم، وذلك قبل اجتماعي به بشبحي بسنة، فلمّا دخل رتبة القطبانية وبويع عليها حضرت روحي ذلك المشهد، فرأيت الشيخ رضي الله عنه على شيء مرتفع على متن القدرة ماداً يديه للمبايعة والأرواح تتنزل عليه من أعلى وتتصاعد إليه من أسفل، حتّى تمّ الأمر فكانت ممن حضر ذلك المشهد وبايعه فيه، فلمّا تمّت سنة

ذهبت إليه واجتمعت به، وكان ممّا قال لي:" قد بشرني الحقّ بك البارحة وقيل لي قد وقع في شبكتك طائر لم يقع في شبكة أحد من الأولياء قبلك" أو كلاما لمعناه.

ثمّ وقفت بعد ذلك على كلام الشيخ الأكبر سيدي ابن عربي رضي الله عنه في صفة المبايعة بنحو ما ذكر عن شيخنا الموسوم رضي الله عنه، ونصّه" قد جرت السنّة الإلهية في القطب إذا ولي المقام، أن يقوم في مجلس من مجالس القرب والتمكين، وينصبّ له فيه تحت عظيم لو نظر الخلق إلى بهائه لطاشت عقولهم فيقعد عليه ويقف بين يديه الإمامان، ويمدّ يديه للمبايعة، وتؤمر الأرواح الملكية والجنّ والبشر الروحاني، بمبايعة واحداً بعد واحد، ولا يبايعه إلاّ الأرواح المطّهرة المقربة، ومن جملة المبايعين له النباتات"(الموسوم محمد، 1999: 12). نقله الشيخ العلامة سيدي العربي بن السّايح في شرحه بغية المستفيد على منية المريد(بن السايح الشيخ العربي، 135:2015). وقوله:"تَخْت هو بفتح التاء المثناة وإسكان الخاء المعجمة، قال في القاموس هو وعاء توضع فيه الثياب ونحوها"(الفيروزآبادي محمد بن يعقوب، 190:1999). فيشبّه أنّ يكون مثل الصندوق له باطن، توضع فيه الثياب وله سطح بسيط، بحيث يمكن الجلوس عليه والله تعالى أعلم.

فقد بان من ذلك صحّة وقوع القضية المسؤول عنها مع ذكر شيء ممّا اقتضاه الحال من الكلام عليها، كما نومئ على بعض فوائدها العرفانية ومنحها الربانية منها زيادة التنويه بالطريقة التجانية وصاحبها رضي الله عنه، حيث أمر الشيخ الموسوم رضي الله عنه بالاندراج فيها والاقتباس من أنوارها والانتساب إلى صاحبها مع جلالة الشيخ الموسوم وحصوله على المرتبة العليا من مراتب الولاية التي بايعه فيها الوجود بأسره كما تقدم، ومنها الاعتناء النبوي بالشيخ الموسوم قدّس سرّه وطلب الزيادة له والتوسّع في ميادين المعارف وأن يضمّ إليه ما عند غيره حتّى يكون أمة واحدة.

وقد قال الله تعالى: [وَقُلْ رَبِي زِدْنِي عِلْمًا]، وممّا يناسب ذكره هنا ما حكاه لي الشيخ سيدي قدور رضي الله عنه في شأن العارف الكبير والقطب الشهير سيدي محمد السنوسي صاحب الجبل الأخضر رضي الله عنه، " أنه جمع من العلوم وما لم يجتمع لغيره في وقته، وسبب ذلك كانت له الوصلة التّامة المستدامة برسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، وكان إذا قربت وفاة عالم، وعنده فن من فنون العلوم الشرعية التي لم تكن عند الشيخ المذكور أخبره بقرب وفاته، وأمره أن يذهب إليه ويأخذ ما عنده قبل موته".

فانظر يا أخي إلى اعتنائه صلى الله عليه وآله وسلم بأمته وحفظ شريعته ومسايرته لهم واتصاله بهم في جميع أطوارهم وأحوالهم؛ جزاه الله عنا أفضل ما جزى نبينا عن أمته، وأحيانا وأماتنا وبعثنا على ملته وحشرنا في زمرته آمين يا ربّ العالمين.

ومنها جواز اجتماع طريقين فأكثر لرجل واحد رغبة في الخير وتوسّعه لدائرة الفضل الإلهي، والله ذو الفضل العظيم. فإنّ كل طريق تمدّ أصحابها نجاحيتها، وتخلع عليهم من حللها، وتفيض عليهم من عنصرها الفياض من العنصر الأعظم، عنصر سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، ومجد وعظم.

وفي خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر في ترجمة الشيخ سيدي عبد القادر بن محمد أبي الفيض المعروف بابن قضيب البان يتصل نسبه بسيدي أبي عبد الله بن الحسين قضيب البان الموصلي الولي المشهور" أنّ شيخ الإسلام سيدي يحي بن زكريا رضي الله عنه بايعه على الطرق الثلاثة النقشبندية والقادرية والخلوتية، ثمّ ردّه إلى النقشبندية، وأمره بالاشتغال بالذكر القلبي".

وقد صرّح شيخنا سيدي قدور قدّس سرّه بجمعه بين الطريقين بقوله في قصيدته الميمية:

جمعت سرّ الإذنين عن سيد الثقلين أذنت في الطريقين تجاني وموسومي

وما أحسن ما قيل:

النحل لمّا جنى من كل فاكهة حوى لنا جوهرين الشمع والعسلا
فالشّمع نور مضيء يستضاء به والعسل يبرئ الأسقام والعللا

هذا ما يسرّه الله تعالى في جواب المسألة سائلا من الله التوفيق والعفو والعافية، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما. وبه أخوكم ومحبّكم في الله ابن قارة مصطفى عبد القادر مفتي مستغانم، كان الله له ولأحبته بالعفو والعافية وحسن الخواتم. 8 جمادى الثانية 1362هـ موافقا 12 جوان 1943م.

الملحق رقم:02. صور الرسالة المخطوطة:

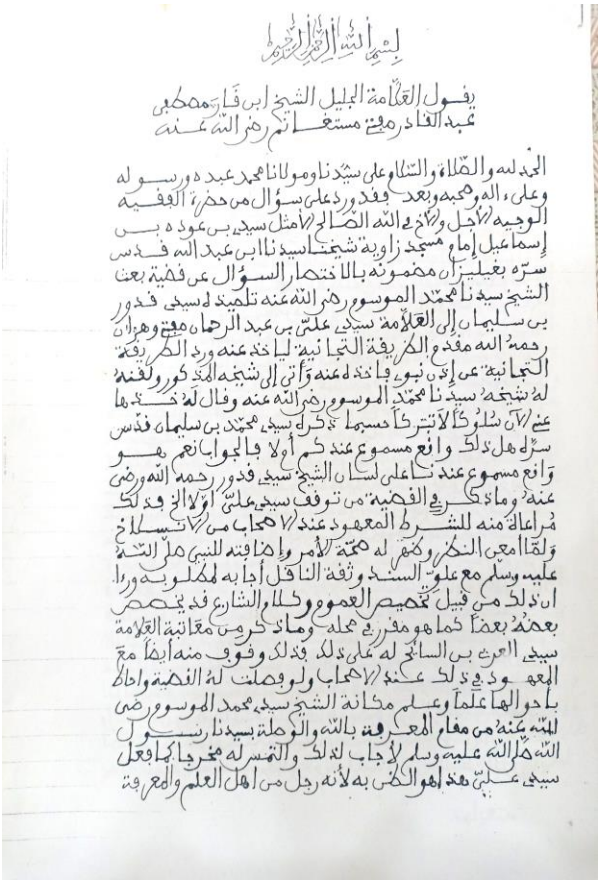

بسم الله الرحمن الرحيم

يقول العلامة الجليل الشيخ ابن قاسم محمد بن عبد القادر مفتي مستغانم رضي الله عنه

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد عبده ورسوله وعلى آله وصحبه وبعد فقد ورد علي سؤال من حضرة الفقيه الوجيه الأجل والأخ في الله الصالح الأمثل سيدي بن عوده بن إسماعيل إمام مسجد زاوية شيخنا سيدنا ابن عبد الله قدس سره بغيليزان مضمونه بالاختصار السؤال عن قضية بعث الشيخ سيدنا محمد الموسوم رضي الله عنه تلميذه لسيدي قدور بن سليمان إلى العلامة سيدي علي بن عبد الرحمان مفتي وهران رحمه الله مقدم الكريفة التجانية ليأخذ عنه ورد الكريفة التجانية عن إذن نبوي فأخذه عنه وأتى إلى شيخه المذكور ولقنه له شيخه سيدنا محمد الموسوم رضي الله عنه وقال له خذها عني الآن سلوكا لا تترك أبدا ذكره سيدي محمد بن سليمان قدس سره هل ذلك واقع مسموع عندكم أولا فالجواب نعم هو واقع مسموع عندنا على لسان الشيخ سيدي قدور رحمه الله ورضي عنه وما ذكر في القضية من توقف سيدي علي أولا الخ فذلك مراعاة منه للشرط المعهود عند الأصحاب من الانتساخ ولقاء أمين النكر وكتمه له مخافة الأمر وإفشائه للنبي هل التنبه عليه وسلم مع علو السند وثقة الناقل أجابه لمملوه ورد ان ذلك من قبيل تخصيص العموم وكلام الشارع قد يخصص بعضه بعضا كما هو مقرر في محله وما ذكر من معاتبة العلامة سيدي العربي بن الساحي له على ذلك فذلك وقوف منه أيضا مع المعهود في ذلك عند الأصحاب ولو وصلت له القضية وأحاط بأدوارها علما وعلم مكانة الشيخ سيدي محمد الموسوم رضي الله عنه من مقام المعرفة بالله والوصلة بسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لأجاب لذلك والتمس له مخرجا كما فعل سيدي علي هذا هو الذي يظن به لأنه رجل من أهل العلم والمعرفة

وجه الرسالة المخطوطة، خزانة الشيخ أبي عبد الله شراك، مسجد الشريفية وهران

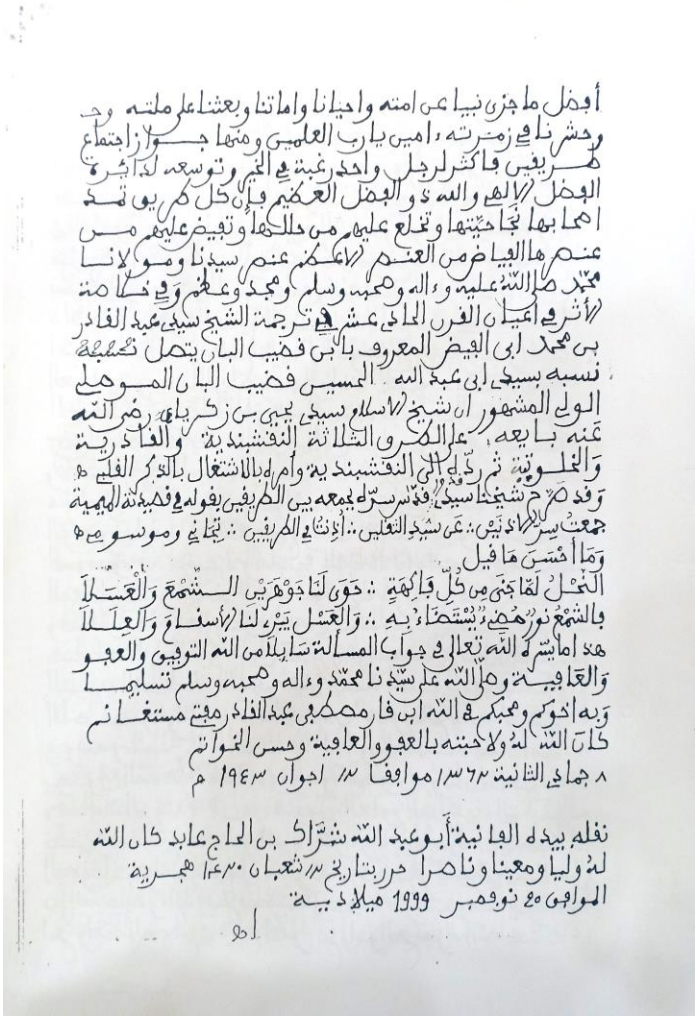

أفضل ما جزى نبيا عن امته واحيانا واماتنا وبعثنا على ملته وحشرنا في زمرته، امين يارب العلمين ومنها جوازا جتماع الشريفين فاكثر لرجل واحد رغبة في الخير وتوسعه لدائرة الفضل والله والله والفضل العظيم فإن كل شريف تمد اليها يد احاجتها وتقلع عليه من حلكها وتفيض عليهم من عنم ها الفياض من العنم الاعظم عنم سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ومجد وعظم وفي خلافة الأشرف أمير الفرن الحادي عشر في ترجمة الشيخ سيدي عبد القادر بن محمد ابي الفيض المعروف بالابن فخيب البان يتصل نسبه بسيدي ابي عبد الله المسمى فخيب البان الموصلي الولي المشهور ان شيخ الاسلام سيدي يحيى بن زكريا رضي الله عنه بايعه على الطرق الثلاثة النقشبندية والقادرية والخلوتية ثم رد له الى النقشبندية وامره بالاشتغال بالذكر الخفي وقد صرح شيخنا سيدي قدس سره بجمعه بين الطريقين بقوله في قصيدته الهمية جمعت سر الاويس عن سيد الثقلين .. اذ ثنى الطريقين .. ثم اني وموسوم

وما أحسن ما قيل

النحل لما جنى من كل فاكهة .. حوى لنا جوهرين الشمع والعسلا
بالشمع نور هم يستصحاء به .. والعسل يبرء لنا الأسقام والعللا

هذا ما يسر الله تعالى في جواب المسألة سائلا من الله التوفيق والعفو والعافية وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

وبه أخوكم ومحبكم في الله ابن فارس مصطفى عبد القادر عفى عنه آمين
كان الله له ولاحبته بالعفو والعافية وحسن الخواتم
٨ جمادى الثانية ١٣٦٢ موافقا ١٧ اجوان ١٩٤٣ م

نقله بيده الفانية أبو عبد الله شراك بن الحاج عابد كان الله له وليا ومعينا وناصرا حرر بتاريخ ١٧ شعبان ١٤٢٠ هجرية الموافق ٢٤ نوفمبر 1999 ميلادية

ظهر الرسالة المخطوطة، خزانة الشيخ أبي عبد الله شراك، مسجد الشريفية وهران

المصادر والمراجع:

- بن الحاج سكيرج أحمد، (2011). الرحلة الحبيبية الوهرانية الجامعة للطائف العرفانية، تح: محمد الراضي كنون، دط، الرباط: دار الأمان.
- بن عبد الحكم عتبة بن عتبة، (2018). المرآة الجلية في ضبط ما تفرق من أولاد سيدي يحي بن صفية، وفي التعريف بمشاهير العلماء ورجال المعاهد الصوفية، دط، الجزائر: دار النعمان للطباعة والنشر.
- بن عيسى المستغانمي عبد القادر، (1996). مستغانم وأحوازها عبر العصور تاريخيا وثقافيا وفنيا، ط1، مستغانم: المطبعة العلاوية.
- بن السايح محمد العربي، (2015). بغية المستفيد لشرح منية المريد للشيخ أبي العباس التجاني، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية.
- بن مصطفى قارة عبد القادر، (1999). ختمية الأنوار المحمدية النبهانية، مختصر المواهب اللّدنية القسطلانية، مخطوط، وهران: خزانة الشيخ أبي عبد الله شراك.
- بن مصطفى قارة عبد القادر، (1943). رسالة الشيخ مصطفى بن قارة المستغانمي للشيخ بن عودة بن إسماعيل، مخطوط، وهران: خزانة الشيخ أبي عبد الله شراك.
- بن نعمية عبد المجيد، (2007). موسوعة أعلام الجزائر(1830-1954)، دط، الجزائر: منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر1954.
- التجيني بن عبد الله عبد الرحمن، (2013). عقد الجمان النفيس في ذكر الأعيان من أشراف غريس، ط1، الجزائر: مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع.
- الفيروزآبادي محمد بن يعقوب، (1900). القاموس المحيط، بيروت: دار صادر.